وآخر أصحابي دخولاً الجنة عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه لمكان ماله
وكان النبي صلى الله عليه وسلم دعا له بالبركة حتى قال ما رفعت حجراً من الأرض
إلا رجوت تحته ذهباً ولما مات حفروا ذهبه بالفؤوس والمساحي
حتى مجلت الأيدي منه وفي رواية يدخل سليمان عليه السلام بعد الأنبياء
عليهم السلام بأربعين خريفاً وفي الخبر أبواب الجنان كلها مصراعان
إلا باب الصبر فإنه مصراع واحد وأول من يدخله أهل
البلاء أمامهم أيوب عليه السلام وكلما ورد في فضائل الفقر يدل على فضيلة
الصبر لأن الصبر حال الفقير والمبتلى وأهل المصائب والشكر حال
الغني فهذا هو المقام الذي ينفع العوام ويكفيهم في الوعظ اللائق
بهم والتعريف لما فيه صلاح دينهم ومن كرامات الرجال نفعنا
الله تعالى بهم أنه دخل بعض الشيوخ من الفقرا إلى عند بعض التجار
فرأى عنده بساطين مثمنين قد استعملهم من بلاد الروم على قدر إيوانه
فقال الشيخ أيها الخواجا أريد منك تعطيني هذا البساطين فصعب على التاجر
وقال له خذ ثمنهما فامتنع الفقير وقال له لا آخذ إلا إياهما بعينهما فقال
التاجر له إن كان ولا بد من الأخذ فخذ أحدهما فأخذ الفقير أحد البساطين الواحد
وخرج به وكان قد حضر للتاجر ابنان مسافران في بلاد الهند كل
واحد منهما في مركب على حدة ومعه مال عظيم فسمع أبوهما أن أحدهما
قد غرق هو ومركبه ومن معه ووصل ابنه الآخر إلى بلاد عدن سالماً
ووصل إلى الإسكندرية فخرج أبوهما إلى لقائهما إلى ظاهر البلد فنظر
التاجر إلى الرواحل والأحمال وإذا البساط الذي أخذه الفقير معطاً به
بعض الرواحل على ظهر بعض الجمال فتعجب وبهت التاجر فلما اجتمعا
بابنه سأله عن قصة البساط ومن أين وصل إليه فقال يا أبي لهذا
البساط شأن عجيب وأمر غريب فقال له أبوه أخبرني بخبره فقال
سافرت أنا وأخي من بلاد الهند بربح طيبة كل واحد منا في مركب
على حدة فلما توسطنا البحر عصفت علينا الرياح واشتد علينا الأمر

واشتغل أهل كل مركب بأمره وحاله وإذا بشيخ قد ظهر لنا في الهوا وفي يده
هذا البساط وهو يقول شدوا فتحة هذا المركب بهذا البساط فسددنا
به فلما وصلنا إلى بعض المراسي أصلحنا مركبنا وسرنا فيه وأما مركب أخي
فغرق جميع ما فيه ولم يسلم منهم أحد فقال التاجر يا بني أتعرف الفقير
إذا رأيته قال نعم وذهب به إلى ذلك الشيخ وقال يا ولدي هو ذا قال نعم
فلما رآه صاح وصرخ وسقط مغشياً عليه وجعل الشيخ يده عليه حتى أفاق
وسكن ما به من الرعب فقال التاجر للشيخ لم لا عرفتني بحقيقة الأمر
حتى أدفع إليك البساطين كليهما فقال الشيخ هكذا أراد الله تعالى ولو أعطيت
البساطين لسلم الله تعالى المركبين ولكن الله يفعل ما يريد فهؤلاء الرجال
تركوا الدنيا وأطاعوا الله تعالى فهون عليهم أمورها قال الله تعالى من أطاع
الله أطاعه كل شيء وفي هذا المعنى قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى
كن عن همومك معرضاً وكل الأمور إلى القضا فلربما اتسع المضيق وربما ضاق الفضا
ولرب أمر مغضب لك في عواقبه الرضا الله يفعل ما يشا فلا تكن متعرضا
نورد خبراً تشرح به القلوب في فضيلة السفر في طلب العلم وهو إما واجب
وإما نفل وذلك بحسب كون العلم واجباً كان أو نفلاً وذلك العلم إما علم
بأمور دينه وسلوكه لما فيه الإصلاح بأمور آخرته أو التجريب أخلاقه
وتهذيب نفسه أو بآيات الله في أرضه وقد قال صلى الله عليه وسلم من خرج
من بيته في طلب العلم فهو في سبيل الله عز وجل حتى يرجع مغفوراً له
وفي خبر آخر عن سيد ربيعة ومضر صلى الله عليه وسلم من سلك طريقاً يلتمس
فيه علماً سهل الله طريقه إلى الجنة وكان سعيد بن المسيب يسافر الأيام
في سماع حديث واحد وقال الشعبي لو سافر رجل من الشام إلى أقصى اليمن
في كلمة تدله على هدى ما كان سفره ضائعاً عند الله وكان الله له مساعداً
قول القائل من أطاع حبيبه كان القرب نصيبه ومع الجملة السفر لزيارة
الإخوان في الله فيه فضل عظيم وفي التوراة سر أربعة أميال زر أخاً في
الله تعالى وأما البقاع فلا معنى لزيارتها سوى المساجد الثلاثة سوى الثغور

Copyright © King Saud University